المحاضرة السادسة: الجهود الجزائرية بعد الاستقلال لنصرة القضية الفلسطينية

عهد الرئيس أحمد بن بلة

1962 – 1965

بعد استقلال الجزائر عمل الشعب الجزائري على دعم قضايا التحرر في العالم وعلى رأسها قضية فلسطين الذي زاد ارتباطه معها رسوخاً وتجذراً بفضل الثورة الجزائرية المسلحة وذلك لتشابه الاحتلال الفرنسي في الجزائر بالاحتلال الصهيوني في فلسطين، كما طبعت هذه القضية السياسة الخارجية الجزائرية عقوداً طويلة من الزمن ، وهو ما دفع بالحكومة الجزائرية المستقلة إلى إنشاء "قسم لرعاية حركات التحرر في العالم" .

وظل التأكيد على هذا التضامن الجزائري مع القضية الفلسطينية في أول خطاب لأول وزير خارجية الجزائر المستقلة، ألقاه بنيويورك أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 24 نوفمبر 1962م ومما جاء فيه: "لا الشعب الجزائري ولا حكومته يقبلان أن يتكرر في أي مكان في العالم ما عاشته الجزائر من ويلات الاستعمار"، ونفس الموقف أكده ثاني وزير لشؤون خارجية الجزائر السيد عبد العزيز بوتفليقة في خطاب ألقاه أمام المجلس التأسيسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في شهر ماي 1964م حيث صرح قائلاً: "لن تكون هناك حرية للجزائر بدون حرية فلسطين" ، وهكذا، وابتداء من عام 1963م شرعت الجزائر في تكوين الفدائيين الفلسطينيين تكويناً عسكرياً ومن بينهم أبو جهاد الرجل الثاني في حركة فتح الفلسطينية ، وهذا الموقف الجزائري هو الذي شجّع أحمد الشقيري على القيام بأول زيارة له إلى الجزائر في 30 ديسمبر 1963م، ولقد سبق هذه الزيارة بياناً صادراً عن وزارة الخارجية الجزائرية أعلن فيه وزيرها عبد العزيز بوتفليقة أنه سيناقش طرق الدعم السياسي والعسكري للفلسطينيين فور وصول أحمد الشقيري للجزائر .

ومن ثم، فإن زيارة الزعيم الفلسطيني أحمد الشقيري جاءت بناءً على دعوة من مكتب فلسطين بالجزائر الذي تم تأسيسه بتاريخ 23 سبتمبر 1963م بموافقة من الحكومة الجزائرية ومن المحتمل أن يكون أول المكاتب الفلسطينية تأسيساً ، وأسندت رئاسته إلى المناضل الفلسطيني خليل الوزير (أبو جهاد) الذي سبق له وأن زار الجزائر رفقة عرفات وحصلا على مساعدة بن بله بخصوص قبول طلبهما المتعلق بتدريب بعض مناضلي فتح على حرب العصابات .

وللإشارة، فإن الجزائر اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية – قبل ولادتها – كممثلاً وحيداً وشرعياً للشعب الفلسطيني الشقيق وهذا بشهادة (أبو مروان) المسؤول الثقافي في مكتب المنظمة بالجزائر، حيث أشاد هذا الأخير بموقف الجزائر وشجاعتها ومبادرتها لفتح المكتب التمثيلي للمنظمة وباحتضانها للعديد من النشاطات المسرحية للتعريف بهذا المولود الفلسطيني الجديد .

ومن جهة أخرى ومن أجل التعريف أكثر بهذه القضية دعا حزب جبهة التحرير الوطني لاجتماع شعبي كبير بمدينة عنابة أبرز فيه قادة الحزب وبعض القادة الفلسطينيين المقيمين في الجزائر آنذاك أهم المحطات والأحداث التاريخية التي مرت بها القضية الفلسطينية منذ اندلا ع الأزمة، ولقد حقق هذا النشاط السياسي نجاحاً باهراً، فما كاد هذا الاجتماع أن ينتهي حتى اصطف الآلاف من الجزائريين أمام مكاتب جبهة التحرير الوطني عبر كامل التراب الوطني وسجلوا أسمائهم كمتطوعين للقتال في فلسطين ضد العدو الصهيوني .

بعدما حققت الجهود الفلسطينية أولى خطواتها عن طريق إبراز الكيان الفلسطيني الذي وافقت عليه الدول العربية عندئذ أصبح بالإمكان معالجة القضية الفلسطينية والتي هي قضية عربية بالدرجة الأولى في أعلى المستويات وإعطائها بعداً قومياً على مستوى القمة[6]، ومن هنا وبعد

موافقة الدول العربية جاءت فكرة عقد أول مؤتمر عربي بالإسكندرية خلال الفترة الممتدة من 13 إلى 17 يناير 1964 .

ورغم أن الجزائر كانت حديثة العهد بالاستقلال إلا أن هذا لم يثن من عزيمتها في المشاركة في أول مؤتمر قمة عربي خاصة عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية، وكانت الجزائر والمغرب من مؤيدي الاقتراح الثاني الذي طرحه الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة ، حيث طالب قادة المغرب العربي الثلاث بضرورة إعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً ومادياً حتى يرقى إلى مستوى الكفاح المسلح ضد إسرائيل لاستعادة أرضه مستفيداً من تجارب دول المغرب في مقاومته للاستعمار الفرنسي . وخلال مجريات هذا الاجتماع أكّد الرئيس بن بلة على ضرورة تحرير الفلسطينيين من جميع ضغوطات الأنظمة العربية حتى يتسنى لهم القيام بواجبهم الوطني دون وصاية عليهم .

ولقد عالج المؤتمر بجدية موضوع الكيان الفلسطيني الذي عرضه أحمد الشقيري كممثلاً عن فلسطين ولقد اختلفت الآراء حول صيغة الكيان، فمنهم من عارض إظهار كلمة الكيان في البيان الختامي ومنهم من طالب بإنشاء حكومة فلسطينية، أما الجزائر وتونس طالبتا بإقامة «جبهة تحرير وطني فلسطيني» تماماً مثلما حدث في الجزائر وتونس سابقاً ، وأقل ما يمكن أن يقال عن هذا المؤتمر العربي الأول -الذي كلل بالنجاح- أنه كرّس أهمية العمل العربي المشترك وأقرّ بأن القضية الفلسطينية هي قضية عربية بالدرجة الأولى وهي مصدر الخطر الذي بات يهدد الوطن العربي بأكمله، وأن التصدي لهذا الخطر لا يتأتى إلا بتظافر الجهود العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية .

وفي إطار الدفاع عن القضايا العربية كانت الجزائر في طلائع الدول العربية في تأسيس "لجنة المقاطعة العربية لإسرائيل"، وأكثر من هذا أنها قامت باحتضان اجتماع رسمي لهذه اللجنة في 15 جوان 1964م بعنابة، ودامت أشغال هذا المؤتمر الذي اختتم في العاصمة 15 يوماً وانتخب فيه الشيخ عباس رئيساً لمكتب ‹ مقاطعة إسرائيل› في الجزائر.

ولم تكتف الجزائر بتقديم الدعم العسكري فحسب، بل أدت دوراً بارزاً في التقارب بين فلسطين وكوبا والصين بهدف تزويد حركة فتح بالأسلحة، فبالنسبة للتقارب الأول استغل أبو جهاد فرصة انعقاد مؤتمر في الجزائر سنة 1964 للتعرف على ‹أرنيستو شيغيفارا› أحد قادة الثورة الكوبية وبموجب هذا اللقاء سافر عرفات إلى كوبا للحصول على مساعدات عسكرية، ونفس الأمر حدث مع الصين التي سافرا إليها أبو جهاد وعرفات في 15 مارس 1964 انطلاقاً من الجزائر بعد التسهيلات التي تلقاها من رئيس لجنة حركات التحرر بالجزائر .

وفي نفس الاتجاه دائماُ نجحت الجزائر كذلك في تحقيق التقارب بين فلسطين والسويد، حيث تعرف ياسر عرفات عن طريق وزير الإعلام آنذاك أحمد طالب الإبراهيمي على أولوف بالم رئيس وزراء السويد خلال حضورهما لاحتفالات الذكرى الثانية عشر(12) لاستقلال الجزائر المصادفة لـ 05جويلية 1974م، كما سعت الجزائر إلى تحقيق التقارب الفلسطيني الفرنسي أثناء لقاء عرفات بوزير الخارجية الفرنسي جون سوفانيارج في 20 أكتوبر من نفس السنة، ونفس الشيء حدث مع الثوار الفيتناميين الذي عمل بومدين على تقريب الفلسطينيين إليهم .

وبما أن الجزائر اعتبرت التعامل مع القضية الفلسطينية والوقوف إلى جانب الفلسطينيين واجباً مقدساً فإنها لم تدخر أي جهد لحل هذه الأزمة، حيث خصصت لها اذاعة خاصة تبث من الجزائر واعترفت بمنظمتها الطلائعية (منظمة التحرير الفلسطينية) كممثل وحيد للشعب الفلسطيني منذ إنشائها سنة 1964 ومهمتها الأساسية تفجير الثورة الفلسطينية وتحقيق الاستقلال الوطني، وهي تقنياً تشبه جبهة التحرير الوطني الجزائرية التي برزت إلى الوجود سنة 1954.

وفي هذا الإطار جاء وفد فلسطيني إلى الجزائر في أواخر جانفي1964 حاملاً معه مشروع تفجير ثورة فلسطينية مستقلة عن القيادتين المصرية والأردنية اللتين كانتا تسييران على التوالي قطاع غزة والضفة الغربية من أجل عرضه على المسؤولين الجزائريين والحصول على الدعم السياسي والعسكري الجزائري ، ضم هذا الوفد الفلسطيني كل من: ياسر عرفات (أبو عمار) وخليل الوزير (أبو جهاد) وأحمد وافي (أبو خليل)، وهؤلاء الثلاثة هم الذين شكلوا النواة الأولى لما عرف قيما بعد بـ "منظمة التحرير الفلسطينية" التي أعلنت عن ميلادها رسمياً في مطلع شهر جانفي 1965م.

وبفضل وساطة عبد الحميد مهري تمكن الوفد الفلسطيني من تحقيق أول لقاء مع قائد الأركان الجزائري الطاهر الزبيري، وخلال هذا اللقاء وبعد اطلاع الزبيري على مشروع الوفد الفلسطيني سأل الفلسطينيين عن مطالبهم فرد عليه ياسر عرفات قائلاً: "نطلب منكم السلاح وتدريب رجالنا على استعماله ودعمنا بالأموال لتفجير ثورتنا" ، وبعد مشاورات بين الطاهر الزبيري ووزير الدفاع آنذاك هواري بومدين تنازلت الجزائر عن مخازن أسلحة في ليبيا وتونس ومصر والأردن -كانت تملكها أيام الثورة التحريرية- لصالح القيادة الفلسطينية، وفي نهاية 1964 قامت الجزائر بإرسال أكبر شحنات السلاح لدعم القضية الفلسطينية عسكرياً، واستلمت حركة فتح 12 طناً من مسدسات رشاشة بريطانية وفرنسية وبلجيكية وقنابل وألغام متعددة الأغراض تم نقلها خلال شهر مارس 1965عبر طائرتين جزائريتين من نوع (أنطو نوف) .

وبعد ثلاثة أشهر من حصول الوفد الفلسطيني على موافقة تسليح وتدريب العناصر الفلسطينية بدأت أولى أشكال التدريب العسكري تقدم لحركة فتح الفلسطينية، واستقبلت الجزائر 57 متطوعاً فلسطينياً تم إدخالهم إلى الأكاديمية العسكرية بشرشال ليتلقوا التدريبات العسكرية ، وخلال نفس الفترة التحق حوالي 100 مقاتل بثكنات بوغار التابعة لولاية المدية وكان من بينهم

وفي هذا الإطار جاء وفد فلسطيني إلى الجزائر في أواخر جانفي1964 حاملاً معه مشروع تفجير ثورة فلسطينية مستقلة عن القيادتين المصرية والأردنية اللتين كانتا تسييران على التوالي قطاع غزة والضفة الغربية من أجل عرضه على المسؤولين الجزائريين والحصول على الدعم السياسي والعسكري الجزائري ، ضم هذا الوفد الفلسطيني كل من: ياسر عرفات (أبو عمار) وخليل الوزير (أبو جهاد) وأحمد وافي (أبو خليل)، وهؤلاء الثلاثة هم الذين شكلوا النواة الأولى لما عرف قيما بعد بـ "منظمة التحرير الفلسطينية" التي أعلنت عن ميلادها رسمياً في مطلع شهر جانفي 1965م.

وبفضل وساطة عبد الحميد مهري تمكن الوفد الفلسطيني من تحقيق أول لقاء مع قائد الأركان الجزائري الطاهر الزبيري، وخلال هذا اللقاء وبعد اطلاع الزبيري على مشروع الوفد الفلسطيني سأل الفلسطينيين عن مطالبهم فرد عليه ياسر عرفات قائلاً: "نطلب منكم السلاح وتدريب رجالنا على استعماله ودعمنا بالأموال لتفجير ثورتنا" ، وبعد مشاورات بين الطاهر الزبيري ووزير الدفاع آنذاك هواري بومدين تنازلت الجزائر عن مخازن أسلحة في ليبيا وتونس ومصر والأردن –كانت تملكها أيام الثورة التحريرية– لصالح القيادة الفلسطينية، وفي نهاية 1964 قامت الجزائر بإرسال أكبر شحنات السلاح لدعم القضية الفلسطينية عسكرياً، واستلمت حركة فتح 12 طناً من مسدسات رشاشة بريطانية وفرنسية وبلجيكية وقنابل وألغام متعددة الأغراض تم نقلها خلال شهر مارس 1965عبر طائرتين جزائريتين من نوع (أنطو نوف) .

وبعد ثلاثة أشهر من حصول الوفد الفلسطيني على موافقة تسليح وتدريب العناصر الفلسطينية بدأت أولى أشكال التدريب العسكري تقدم لحركة فتح الفلسطينية، واستقبلت الجزائر 57 متطوعاً فلسطينياً تم إدخالهم إلى الأكاديمية العسكرية بشرشال ليتلقوا التدريبات العسكرية ، وخلال نفس الفترة التحق حوالي 100 مقاتل بثكنات بوغار التابعة لولاية المدية وكان من بينهم

أبو علي إياد أحد قادة معركة الكرامة التي وقعت بين حركة فتح والإسرائيليين عقب نكسة جوان 1967.

وفي سياق آخر ندّد الجزائريون بالرئيس التونسي لحبيب بورقيبة حينما دعا العرب في منتصف سنة 1965 إلى ضرورة قبولهم بإسرائيل مقابل تقسيم المنطقة إلى دولتين، وهو ما سبب في إحداث القطيعة بين الجزائر وتونس لمدة طويلة ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على موقف الجزائر الثابت والداعم للقضية الفلسطينية.